



<https://ui.ac.ir/en>

Journal of Research in Arabic Language

E-ISSN: 2322-4649

Document Type: Research Paper

Vol. 14, Issue 1, No.26, Spring & Summer, 2022

Received: 18/12/2020 Accepted: 17/05/2021

Mechanisms of Coherence in the Quranic Verses about the Interaction among Believers (Suras Al-Mu'minun, Luqman, and Al-Hujurat as Examples)

Ezzat Molla Ebrahimi*

*Corresponding Author: PhD Candidate of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran
mebrahim@ut.ac.ir

Bayazid Tand

PhD Candidate of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Iran

Abstract

Coherence is one of the textual criteria that modern textual scholars have paid attention to in their endeavor to find an appropriate link between sentences on one hand and paragraphs on the other hand as an extension to the level of discourse. The importance of coherence lies in the process of understanding and interpretation. As coherence is related to the discourse as a whole and does not depend only on the level of sentences and paragraphs, the present applied study aims to reveal the criterion of coherence in the verses dealing with believers in the Holy Quran through the suras of Al-Hujurat, Al-Mu'minun, and Luqman. The study calls for moral virtues to reveal the beauty of cohesion and coherence between the elements of the mentioned chapters and to highlight the appropriate relationships between their verses. The results of the present study showed that there is a complementary system in the above-mentioned suras that manifests the features of education and discipline with highly influential suggestions and rejects deconstruction and fragmentation.

Keywords: the Holy Quran, the Interaction among Believers, Coherence, Verses of Interactions.

References

- Abdel-Azim S. (Ed.) (2009). *Mohghni Al-libayib an Kotob Al'aearib*. Cairo: Library of Arts.
- Abdel-Majid, J. (1998). *Al-Bade' between Arabic Rhetoric and Textual Linguistics*. Cairo: The Egyptian General Book Authority.
- Al-Abed, M. (2014). *Text, Discourse, and Communication*. Modern Academy for University Book, Ain Shams University.
- Alani, Hasan A. et al. (2016). The Implicit Meanings of the Harmony of the Letters in Surat Al-Imran. *Arab Literature Journal*, 1, 191-209.
- Al-Fattah, S. (1997). *Al-Jawaher Al-Hassan in the Interpretation of the Qur'an*. Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Almalayika, N. (1967). *Issues of Contemporary Poetry*. Third Edition. Publications of the Renaissance Library.
- Al-Qazvini, A. K. (2003). *Clarification in Rhetoric*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.
- Al-Risuni, Q. (2010). *The Quranic Text from the Rush of Reading to the Horizon of Reflection*. Morocco: Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.
- Al-Rubaie, M., & Al-Janabi, A. J. M. (2014). Badi'ah Forms in the Light of Harmony in the Holy Qur'an. *Journal of the College of Islamic Education*, 17, 451-481.
- Al-Sakaky, A. Y. (1987). *Miftah Al-Uloom*. Second Edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya.

- Al-Savuti, J. (2008). *Perfection in the Sciences of the Qur'an*. Beirut: Al-Resala Foundation.
- Al-Suyuti, J. (n.d). *Secrets of the Quranic Arrangement*. Cairo: Dar al-Fadila.
- Al-Zakrawy, J. (2017). *Consistency and Harmony in Surah Yassin*. Master Thesis, University of Muhammad Boudiaf, Faculty of Literature and Languages.
- Bermad, A. (2015). Mechanisms of Harmonization of the Quranic Text among the Commentators: Muhammad al-Tahir Ibn Ashur's Interpretation of Surat al-Majadla as a Model. *Journal of Text*, 18.
- Dyke, V. (2001). *The Science of Text is an Interdisciplinary Entrance*. Beheiri, Cairo: Cairo Book House.
- Ghazala, Kh. H. (1992). *An Introduction to the Linguistics of the Text*. Nablus: Dar Al-Katib.
- Hassan, T. (1998). *Text, Discourse, and Action*. Cairo: The World of the Book.
- Ibn Ashur, M. (1984). *Tafsir Al-tahrir wa Al-tanwir*. Tunisia: the Tunisian Publishing House.
- Karbasi, M. S. (2013). *Divan of Al-Takamasa*. The Husaynite Circle of Knowledge.
- Khatim, A. (2018). *Harmony in the Quranic Text, A Study in Tools and Levels*. PhD Thesis, University of Batna, College of Language, Arabic Literature and Arts.
- Khattabi, M. (1991). *Linguistics of the Text Introduction to the Harmony of the Discourse*. Beirut: The Arab Cultural Center.
- Kristafa, J. (1997). *Text Science*. Second Edition. Casablanca Toubkal Publishing House.
- Muhammad Shaker, M. (Ed.) (1991). *Dalayil Al-eaiejaz*. Jeddah: Dar al-Madani.
- Qutb, S. (2003). *In the Shadows of the Qur'an*. Beirut: Dar Al Shorouk.
- Saharawi, M. M. (1991). *Tafsir al-Saharawi*. Cairo: The Islamic Research Academy.
- Shartah, I. (2005). *Stylistic Phenomena in Bedouin Poetry of the Mountain*. Damascus: The Publication of the Arab Writers Union.
- Tabatabai, M. H. (1980). *Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an*. Qom. (n.p). *The Holy Quran*.

آليات انسجام النص القرآني في آيات التعامل بين المؤمنين سور المؤمنون، ولقمان والحجرات أنموذجا^١

عزت ملا إبراهيمي *

بايزيد تاند **

الملخص

يعد الانسجام أحد المعايير النصية التي اهتمت به الدراسات النصية الحديثة في سعيها لإيجاد صلة وثيقة بين الجمل من جهة، والفقرات من جهة ثانية امتدادا إلى مستوى الخطاب؛ وتكمن أهمية الانسجام في عملية الفهم والتفسير؛ إذ يرتبط الانسجام بالخطاب ككل ولا يتوقف على مستوى الجمل والفقرات فقط. تأتي هذه الدراسة لتكشف معيار الانسجام في آيات التعامل بين المؤمنين في القرآن الكريم من خلال سور المؤمنون، ولقمان والحجرات، لما فيها من الدعوة إلى الفضائل الأخلاقية، حيث تكشف عن جمالية التلاحم بين عناصر السور وتبرز علائق المناسبة بين آياتها ومقاطعها ومناسبة السور لمقاصدها. وتشكل البحث على ركنين أساسيين: أولهما الترابطي السطحي الذي يقرب للاتساق؛ وثانيها الترابط المعنوي الذي يقرب للانسجام. يكمن هدف هذا البحث في فك ربط مناهج الانسجام بالمعايير الأخلاقية في السور. أما النتائج تشير إلى أن علاقة المناسبة بالمعنى العام من خلال السور المذكورة، فتتشئ نظاما مكملًا، ويشع ملامح التربية والتهذيب بإيحاءات بالغة الوقع والتأثير ولا تقبل التفكيك والتجزئة، فينشئ كل سورة، منفردة شبكة دلالية مختصة بها تارة، وتارة يحاول البحث وراء تقرير التناسب بين السور المذكورة؛ لذلك تقوم نظرية الانسجام على تقرير الغرض الذي يبحث عنه المقال؛ إذ هي شديدة الصلة بالوقع والتأثير على وجدان المتلقي وتشحن الطاقة الإيمانية الإيجابية مستمدة من غرض التربية الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، تعامل المؤمنين، الانسجام، آيات التعامل

١- تاريخ التسلم: ١٣٩٩/٩/٢٨ هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٩/١٢/١٩ هـ.ش.

Email: mebrahim@ut.ac.ir

* أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران (الكاتبة المسؤولة)

Email: bayazedtand@gmail.com

** حاصل على الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران

Copyright©2022, University of Isfahan. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License (<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits others to download this work and share it with others as long as they credit it, but they cannot change it in any way or use it commercially

<http://10.22108/RALL.2021.126537.1342>

١. المقدمة

الانسجام هو وسيلة التنظيم اللغوي المقترن بالالتلاف والتلاؤم، الذي يبحث عن الجمال الفني، وإدراك أسرار الترتيبات داخل البناء النصي؛ ومن فوائده الكشف عن التلاؤم والتعالق بين أعضاء النص، مما يتحقق من خلاله الساحة الخصبة للنص. إن الانسجام بالاستمداد من الوسائل اللغوية وغير اللغوية هو السبيل إلى تحقيق الحبكة الفنية، وهو يقود الكلام إلى تلازم بنائه واتحاد أجزائه وينشئ العلاقة بين أعضاء الكلام وأغراضه؛ فهو وسيلة إلى رصد الترابط بين المقومات الأسلوبية من الجمل والمفردات والتراكيب والصور والأصوات، كما يهتم أيضا بالمناسبات الكلامية في الخطاب، وهي تشيع ذائقة المتلقى من خلالها.

وعن هذا التكامل والتفاعل، يكسب النص انسجاما وتماسكا؛ لذلك هو بوابة في بروز ما في النص من الجمال والإبداع الفني. وفي ضوء هذه الدراسة، جاءت دراسة الانسجام لتبحث عن آليات رفع تماسك بناء القرآن وترابط أجزائه. والمقصود من الآليات هنا وسائل الترابط السطحي وغير السطحي؛ لذلك نريد من خلال هذه الدراسة إثبات الصلات المعنوية بين آيات التعامل بين المؤمنين في سور الحجرات، والمؤمنون ولقمان، وأغراض السور ومقاطعها، بما ترفض وجود التشتت والانقطاع بين المعاني، خاصة ما ارتبطت بعلم المناسبة والمقارنة، والذي يعزف عن ناحية لسانية بنيوية خالصة، معتمدين على أجهزة آليات الانسجام والترابط العميق.

فإننا نقصد بذلك فتح نوافذ الثروة النصية وجماليته وجاذبيته، فيعلو أمر البناء ويحكم تنظيمه بالجودة والقوة بمقدار ما يقدم من بناء محكم ورؤية كلية؛ ولكن يبقى هنا ما تقدمه هذه الدراسة من الأسئلة التي تحاول الإجابة عنها، منها:

- كيف يسهم الانسجام السطحي في بروز جماليات الترابط والتناسق في آيات تعامل المؤمنين بعضهم بعضا من خلال السور المذكورة؟

- كيف يفتح الانسجام العميق المعنوي نوافذ جماليات الترابط والتناسق في آيات تعامل المؤمنين بعضهم بعضا من خلال السور المذكورة؟

١.١. منهج البحث

أهم ما سيعتني بها هذا البحث هو الاهتمام بآليات الانسجام للتعامل بين المؤمنين في سور المؤمنون، ولقمان والحجرات بوصفها تمثل مجالا مليئا بالتناسب اللفظي والمعنوي، الذي يبرز من خلاله أهم الأصول الأخلاقية معتمدة على وصف آليات الانسجام وتطبيقها في السور المذكورة، ثم بيان مدى تأثيرها في روح المتلقى ووجدانه.

٢.١. خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة حول الانسجام وأثره في خلق التعالق الدلالي وما يتوقف عليه من الوحدة والاتساق في النص، التي لا نكاد أن نحصل عليها لكثرة عددها؛ لذلك يصعب علينا عددها؛ ولكن أهم الدراسات التي يتم التركيز فيها على هذا المفهوم وتشع ملامحه، تأتي على التشكيل التالي، منها:

مقالة *آليات انسجام النص القرآني عند المفسرين: تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لسورة المجادلة أنموذجا*، لأحمد برماد (٢٠١٥م)؛ والمقالة تناول العلاقات الدلالية في البنيات النصية لسورة المجادلة، حيث تبرز هذه العلاقات في الاستئناف البياني، والمناسبة، والإجمال والتفصيل والتعليل، وتحاول إثبات العلاقات المعنوية بين آيات السورة ومقاطعها.

ورسالة الاتساق والانسجام في سورة يس، لجميلة زكراوي (٢٠١٧م)، حيث تناولت الباحثة مظاهر الاتساق، والأدوات التي يقوم عليها في السورة، وهذا ما يعتمد على أهم السياقات الواردة فيها.

ومقالة الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم، لمحمد شاعر ناصر الربيعي وأحمد جاسم مسلم الجنابي (٢٠١٤م)؛ فقامت المقالة بالبحث عن أنواع إستراتيجيات الانسجام في القرآن الكريم، مرتكزة على الموقف والسياق وفن البديع وما لها من دور في خلق الانسجام.

وهناك رسالة لعزوز ختيم (٢٠١٨م)، معنونة بالانسجام في النص القرآني: دراسة في الأدوات والمستويات؛ وقد تناول الباحث فيها مظاهر الانسجام القرآني من خلال البحث في أدواته المستعملة في اتساق بناء اللغوية وتلاحم مستوياته الدلالية.

فما يميز بحثنا هذا عن البحوث الأخرى هو التركيز على العلاقات الدلالية، ضمن صلتها بالجانب السياقي أو المقامي، فكان هذا البحث بحثاً تحليلياً يجمع بين التماسك السطحي والتماسك المعنوي، ويبرز التطبيق من خلالها أسرار التناسق وجماليات التعبير الحافلة بالحياة، حيث يميز الفكرة المحورية التي يدور حولها النص؛ كأنه وحدة متماسكة، وهي اتحاد الجنس في آداب التعامل؛ فهكذا ميزت هذه الدراسة باستخدام أساليب التناسق الجامعة، حيث يقف المتلقي على عناصر جديدة أو غير متوقعة عند اتصاله بالنص.

٢. النصية

«يرى علم النص أن مهمته هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة، في ترابطها الداخلي والخارجي» (دايك، ٢٠٠١م، ص ١٠). ويذكر دي بوجراند^١ للنصية معايير سبعة، وهي: «السبك، وهو معيار الترابط الرصفي، ثم الالتحام، وهو معيار الترابط المفهومي، ثم القصد، فالقبول، فرعاية الموقف، فالتناسق والإعلامية. وهذه الخمسة الأخيرة معايير للنص على إطلاقه، وأوثق هذه المعايير صلة بالنص هما السبك والالتحام، وأوثقها صلة بعلم النفس رعاية الموقف والتناسق» (حسان، ١٩٩٨م، ص ٨). فالنص هو من آليات نقل الأفكار والمفاهيم، والذي ينقل شيئاً ما إلى المتلقي، وهو ليس هدفاً لذاته، إنما هو طرق لتبيان ما يقصده الكاتب من الوحدات اللغوية.

١-٢. الانسجام والتماسك في النص

قبل أن ندخل في مجال الانسجام، فلا بد من التعرف على السبك أو الاتساق. فالسبك إذن يتعلق بالبنية الشكلية أو السطحية للنص، ويتم عن طريق تتابع الكلمات تتابعا صحيحا من الوجهة النحوية والمعجمية (زكراوي، ٢٠١٧م، ص ٢٥). يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية أو الشكلية التي تصل بين العناصر المشكلة لجزء من النص أو للنص كله؛ أما الانسجام فهو تلك العلاقات الخفية التي تنظم كامل النص وتولده، متجاوزة رصد المحقق فعلا، أي الإتساق إلى الكامن وراءه من دلالات وحبكة، لتجلي ذلك الخيط الرفيع الذي يمتد من أول النص إلى آخره، ويحدد العلاقات والمعاني المضمرة والكامنة وراء الأشكال اللغوية والتعبيرية التي يحملها النص، وبذلك يكون الانسجام أعمق من الاتساق وأشمل وما الأخير إلا أداة لتحقيق الأول (ختيم، ٢٠١٨م، ص ٧).

إن عملية الجمع تتطلب اللعبة المزدوجة للعزل والجذب، أي إنها تفترض قابلية الاختزال وتركيب الوحدات الدلالية المتقابلة معاً، وهذا ما يصوره بشكل رائع النشاط المتعدد لمعدني الكيميائي ييكس المغناطيسية والعازل، ولقد كانت المغناطيسية منجذبة عن بعد إلى معدن خاص أو جوهرة معينة (كريستيفا، ١٩٩٧ م، ص ٥١).

من اللافت أن مقصودنا بالمغناطيسية هنا الإنتاجية الكلامية المقترنة بالتناسق والتجاذب، التي تكون النتيجة الأخيرة من الانسجام اللغوي، ولا النتائج اللغوية. مبدئياً، تشكل متتالية من الجمل، كما يذهب إلى ذلك هاليدى^١ ورقيه حسن^٢ نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح، بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات. تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر، وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر، متتالية برمتها، سابقة أو لاحقة. يسمى الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية (خطابي، ١٩٩١ م، ص ١٣).

في علم اللغة المعاصر، قد جعل الشرط الجوهري للنص أن يكون كلا موحدا منتظما في وحدة دلالية؛ لا تجميعاً محضاً بين جمل، يجوزها الترابط الدلالي، سواء في ذلك أن يكون نصاً منظوماً أم مكتوباً، قصيراً أم طويلاً؛ من أجل ذلك، نظر إلى النص بوصفه تصميمًا للمعاني على مستوى أعلى، وفي ضوء ذلك، أيضاً عرف النص عند هاليدى ورقيه حسن بأنه وحدة من التنظيم الدلالي الموقفي، أي أنه استمرارية معنوية أو انتظام للمعاني في السياق، تشيده علاقة الحيك الدلالية (العبد، ٢٠١٤ م، ص ٧١). تأسيساً على ذلك، فهما يهتمان بالنص على مستوى البنية الكلية للخطاب، لدرجة أن الانسجام عند رؤيتهما تعود حقيقته إلى الفهم والتأويل، الذي يمضيه المتلقي من الخطاب، لما فيه التنقيب عن الصلات الكبرى الموجودة بين النص، كالعوامل الخارجية للنص من السياق ونفسية الكاتب وغير ذلك.

فالانسجام هو وسيلة التنظيم اللغوي المقترن بالائتلاف والتلاؤم، والذي يبحث عن الجمال الفني، وإدراك أسرار الترتيبات داخل البناء النصي، معتمداً على العوامل الخارجية للنص من السياق والبيئة، ومن فوائده الكشف عن التلاؤم والتعلق بين أعضاء النص، مما تتحقق من خلاله الساحة الخصبة للنص.

٢-٢. الخطاب القرآني والانسجام المتكامل

يقول قطب الريسوني في كتابه *النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر*، حول الانسجام: «إن علم المناسبات هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن بعضها إثر بعض؛ فهذا العلم إذا راجع بلاغة القرآن ونظمه، وثمرته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً برقاب بعض، فيصير التأليف كالبناء المتراص، والنسيج المحكم، جارياً على أحسن نظام، وأتم منوال، فتلوح مقاصد القرآن، تتجلى بدائعه، وأكثرها مودع في الترتيبات، والمناسبات والروابط» (٢٠١٠ م، ص ٣٠).

ومن عوامل هذه المناسبة هي الأشكال البديعية التي لها دور واضح في الأسلوب القرآني؛ فنادر ما نجد آية خلت منها؛ لذا تعد من الأدوات التعبيرية المهمة التي اعتمدها القرآن الكريم في السياق القرآني تؤدي دورها الوظيفي والجمالي على أكمل صورة (الريبيعي والجنابي، ٢٠١٤ م، ص ٤٥٥).

وأكثر المفسرين اعتناء بعلم المناسبات، وبياناً لمواضعه، الرازي في *مفاتيح الغيب*، والبيضاوي في *أنوار التنزيل*، والآلوسي في *روح المعاني*، إلا أنه - على ندرة التأليف فيه، قلة الاحتفال به - أفرد بأوضاع مستقلة، برأسها ما يلي: *نظم الدرر في تناسب*

الآيات والسور، لأبي الحسن البقاعي، والبرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي الجعفر ابن الزبير، وتناسق الدرر في تناسب السور، ومرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله بن الصديق الغماري (الريسوني، ٢٠١٠م، ص ٣٠).

والخطاب القرآني له هبة وله تعظيم وله تأثير علينا عند القراءة والتدبر، وهو منهج متكامل له قواعد أساسية في التعامل مع الآخرين، وفي التعامل مع الأفراد باختلاف ثقافتهم وطبيعتهم، وهو يركز على المثل العليا، وبيان ما يؤديها من إشاعة الأصول الأخلاقية وترويض النفس البشرية على محاربة الشهوات الشيطانية، نرى قمة التأثير في القرآن بما أنه خطاب تأثيري، تقشعر الجلود من سماعه، كأن المستمع يلمسه ويحسه، ويتفاعل معه، وهذا ما يعود إلى ما فيه من الانسجام والترابط الدلالي، حيث يؤدي إلى البيان المتكامل الشامل، ويؤلف بنية دلالية واحدة. قال الخويبي:

إحدى القاعدة التي استقرتها، القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطنا لإيجازه، وقد استمر معنى ذلك في غالب سور القرآن، طوّلها وقصّرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة، على سبيل المثال، أوائل سورة البقرة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة؛ لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم، هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه، وقد اهتديتم على الصراط المستقيم المطلوب المسؤول. ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة، فذكر الذين على هدى من ربهم، وهم المنعم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالون، والذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم (السيوطي، د.ت، ص ٥٥ - ٥٦).

مهما يكن من شيء، يحاول البحث التطبيق لمناهج الانسجام في السور المذكورة معتمدا على الترابط السطحي والترابط المعنوي بين عناصر السور.

٣. الترابط السطحي

«نسمي معيار النصية الأول باسم التضام، وموضوعة ما يقوم بين مكونات ظاهر النص، أو الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نبصرها من ترابط متبادل ضمن تال لغوي معين، وتعتمد مكونات ظاهر النص بعضها على بعض وفقا للأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد، أي أن التضام يعتمد على التبعيات القواعدية، وكما أشار اللغويون في كثير من الأحيان، فإنه لا مندوحة عن وقوع اختلال عند القيام بإعادة ترتيب جذرية للتتاليات اللغوية في لغة ما» (غزاة، ١٩٩٢م، ص ٢٥). ومن مظاهر الترابط السطحي، نشير إلى الظواهر التالية، كالإحالة والاستبدال ... ثم نطبقها على السور المذكورة.

١.٣. الإحالة

«تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، تعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه» (خطابي، ١٩٩١م، ص ١٧). تضيي الإحالة على النص انسجاما وتماسكا؛ ولها أنواع مختلفة، نظير الإحالة من خلال الضمائر، والموصولات، وأسماء الإشارة، والتعريف و... .

١-٣. الإحالة من خلال الضمير، والموصول واسم الإشارة في سورة لقمان

نظيرها قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ (لقمان ٣١: ٣-٥). فمن أدوات الاتساق في هذه الآيات، هي اسم الموصول "الذين"، وهو يحيل إلى كلمة "المحسنين" المذكورة في الآيات؛ وهناك ضمير متصل "واو" في فعلي "يؤتون" و"يوقنون"، الذي يربط بين الكلام اللاحق وبين الكلام السابق؛ فمرجعه يعود أيضا إلى كلمة "المحسنين"، منها أيضا اسم الإشارة "أولئك"، حيث يقوم بالربط القبلي والبعدي ويعمل على تحقيق تماسك الآيات واتساقها.

فعن هذا السبيل، تتولد ساحة خصبة التي تشبع ذائقة المتلقي؛ لذلك تعمل الإحالة النصية على إنشاء التماسك بين عناصر النص في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل مع بعضها البعض وتزيد في ثراء البنية النصية، بالإضافة إلى إنتاجية مفيدة بعيدة عن التجزئة والتفكيك.

٢-٣. الإحالة من خلال الموصول والضمير في سورة المؤمنون

غالبا ما يتحقق الترابط بين الجمل والمقاطع من خلال مظاهر الإحالة كالضمير والموصول؛ وذلك نحو قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٤﴾ (المؤمنون ٢٣: ١-٥). فمن أدوات الترابط بين هذه الآيات السابقة، اسم الموصول "الذين" الذي لا يملك دلالة خاصة، بل يعود إلى الكلمة اللاحقة أو السابقة، وهي كلمة "المؤمنون".

كذلك يلاحظ من مظاهر الإحالة في الآيات السابقة، وذلك نحو عوامل الضمير "هم" التي تمنح الكلام تماسكا وانسجاما، لما فيه من الفاعلية والقوة في تحرك الكلام ونموه؛ هكذا تتأزر عناصر الإحالة كالضمير والموصول وغيرهما من المعوضات في الربط بين الآيات السابقة، بحيث يتحقق ويخطط من خلالها التنظيم النصي؛ ومن جهة أخرى أن التنظيم الصوتي في حروف الفاصلة "ون" يولد وينتج نغمات إيقاعية مضاعفة، تموج بالانسجام والتلاحم تارة وتنبض بالتناغم والتضافر تارة أخرى.

٢-٣. الاستبدال

«هو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، ويعد الاستبدال، شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة الاتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي - المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي» (خطابي، ١٩٩١م، ص ١٩).

ليبان ما تقدم نأتي بالمثال التالي من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَ...﴾ (الحجرات ٤١: ١١)؛ هذا الاستبدال يكون قادرا على استيعاب مكنونات هذه الآية بالقدرة المقترنة بالامتلاء الإقناعي؛ فالآية كما تتضح أنها تفتقر إلى هذه الاستبدالات "قوم، ونساء" بدل خطاب المؤمنين، لما فيها من الحقول الدلالية المختلفة، التي تخلق تدرجا منطقيا في هذا التسلسل اللغوي، وتكسب في النص طاقات رحيبة، مؤثرة لحمل كل هذه الكلمات من أساليب الالتفات والتنوع في التفجير التعبيري؛ لأن الإتيان بهذه الألفاظ مختلفة الدلالة يضيفي على المضمون المقصود عمقا ورحابة وشمولا، كما في هذه الاستبدالات من فوائد بلاغية هامة كذكر الخاص بعد العام؛ لأن في كثير من الأحيان، قوم يسخر قوما آخر، وهكذا تكون صفة السخرية كثيرة الوقوع عند النساء؛ إذ تكون فاندتها شمول المؤمنين والعناية بالقوم والنساء؛ لذلك تفرغ في هذه الآية

مجموعة من الكلمات بدل ما توجد في بدايتها، لكي تضاعف درجة تحرك النص ويوسع مجال دلالاته؛ فلا بد من انفعال المتلقي بالتجديد والتوليد والالتفات، وهذا ما يفني بالمقصود.

«سورة الحجرات سورة جليلة ضخمة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية. حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقا عالية وآمادا بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة؛ وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ الشريعة والتوجيه» (قطب، ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٣٣٣٥). هكذا، تلاحظ هذه الحقائق والأصول في سورتي لقمان والمؤمنون، وخاصة ما يتعلق بأصول التربية والتهذيب.

كما نلاحظ ظاهرة الاستبدال والالتفات في ختام هذه الآية من سورة لقمان: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان ٣١: ١٨). ختام الآية قد يحمي بدايتها، ويعطيها حياة جديدة، وتستمد هذه القوة الجديدة من الاستبدال والالتفات كوسيلة من وسائل الحياة في التكوين النصي؛ لذلك يثبت استخدام مقطع "مختال فخور" في الختام، القوة الخارقة المؤثرة في الآية حتى يشمل الخطاب الناس كلهم.

٣-٣. الحذف

إن البنيات السطحية في النصوص غير متكاملة غالبا بعكس ما قد يبدو في تقدير الناظر. وفي النظريات اللغوية التي تضع حدودا واضحة للصواب النحوي أو المنطقي يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة على حذف بحسب ما يقضى مبدأ حسن السبك والحذف مثال آخر للتناوب بين الإيجاز وسرعة الإيتاحة، ويتطلب الإيغال في الحذف جهدا أكبر لربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يتقطع من البنية السطحية بشدة (حسان، ١٩٩٨م، ص ٣٤٠ - ٣٤٥).

وذلك مثل قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (لقمان ٣١: ٤). ومن ثم، نجد في بداية القسم الأخير من الآية فراغا كلاميا، ينقب المتلقي عن ملئه اعتمادا على ما ورد في القسم السابق من الآية؛ فأصل الآية تكون على هذه الشاكلة "الذين يقيمون الصلاة والذين يؤتون الزكاة"، فالحذف يؤدي إلى توسع الدلالة الإيقاعية ومانحة الآية خصوصية وتفردا من حيث الفاصلة والإيجاز، حتى يخرج التماسك النظمي في شكل يتناسب وطبيعة القواعد، حيث يتميز هذا الحذف بأنه أقرب إلى السهولة والتسهيل في القراءة، مما يمنح الآية عذوبة في النطق والبيان وينبض بالحركة والفوران، بينما يتوقف ذلك في أسلوب الذكر.

٤-٣. علاقة الإعراب

الكلام: «وهو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه؛ ولكن الجملة عبارة عن الفعل وفاعله: كـ"قام زيد"، والمبتدأ وخبره: كـ"زيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: "ضرب اللص"، و"أقائم الزيدان" ... يقال في شرط الكلام الإفادة بخلاف الجملة» (ابن هشام، ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٤٨).

وأما بالنسبة إلى الإعراب فهو سبب لفهم ما قصده المتكلم من الكلام، فكثير من التعبيرات اللغوية لا تعرف معانيها ودلالاتها إلا بالإعراب، فمن عرف قواعد اللغة وإعرابها يسهل عليه الفهم وسيتلذذ به؛ ولكن من الواجب الغرق في بواطنه ولا نكتفي بظواهره؛ لذلك يكون الإعراب نتيجة التركيب اللغوي وأثره في الإفادة والإبلاغ، مما يؤلف من خلاله الانسجام بين عناصر اللغة.

يقول السيوطي: «من فوائد الإعراب معرفة المعني؛ لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين» (٢٠٠٨م، ص ٣٨٤)؛ لذلك يختلف معنى الجملة باختلاف الإعراب. وتلك العلاقة تتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان ٣١: ١٧)؛ فالجمل المعطوفة في الآية سبب للتناسب

والتوافق بين أجزاء الآية، بحيث تجمع أجزاؤها كالكلمة الواحدة، فالعطف كوسيلة من وسائل الإعراب يفتح النواخذ المنيرة للاتحاد والتقارب، مما يعمل حسب تخطيط لغوي منظم وتشكيل فني منضبط إلى حد ما. فطبيعة صيغة الأمر من خلال الآية السابقة ذات قدرة على الترتيب بين الأمور الهامة، فصورة الأمر تدخل في هذه العناصر، العنصر الأول "الصلاة"، وينتقل إلى العنصر الثاني والثالث "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وثم تصل إلى العنصر الرابع، وهو "الصبر"، فالعلاقات الموجودة بين هذه العناصر تشكل نوعا من التطور والتنقل في المعنى إلى أن تنتهي إلى الغوص في المقصود، فهكذا ينمو ويتسع مجال الدلالة، ويأتي ختام الآية بشكل يرتضيه لقمان (عليه السلام) فيما قصده منها الآية.

وكذلك تلك العلاقة تتمثل في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون ٢٣: ٦١)؛ فجاء خبر الجملة الاسمية في السابق من الآية مضارعا، لكي يعبر عن الشيء المحبوب قصدا لإحضار تحقيقه في الذهن مستمرا ومتجددا، كأنها تلك الصورة البديعة من التفاؤل بالمستقبل تبدأ في برهة من الزمن، ثم تتكرر متقلبة بين أزمان مختلفة، وتأخذ معنى الدوام والاستمرار، حتى تجعله شاهدا أمام الأعين؛ ولكن بالنسبة إلى اللاحق من الآية، جاء خبره مفردا، كما أن إبراز المؤمنين في اتصافهم بفعل الخيرات، حصل حصولا تاما وانتهت؛ هكذا تبرز علاقة الإعراب بين عناصر الآية إشباعا وتدرجا في المعنى، وهذا كاف للتلاحم بين بنية الآية.

مثالنا أيضا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون ٢٣: ٨)، كما يتبين أن الإعراب تنظم يصوغ من خلالها الفهم والإفادة في عناصر الآية، وتفتحت طاقاتها التعبيرية، ووسيلة تحرك بها اللغة من أجل تحقيق كل ما تصبو إليه من المعنى المراد، فالإعراب ضمن العناية بالمعاني التركيبية فقد يكون موف للمعنى، لما فيه من مجال توسع الدلالة، بحيث يبحث عن وحدة النص وكماله، كذلك بالنسبة للآية السابقة يتابع حرف "اللام" الاسم المقترن بالكسرة ويتوقف اسم "العهد" على الاسم السابق في الإعراب؛ لأنه المعطوف وتكون كلمة "راعون" خبر المبتداء؛ لذلك كل أجزاء الآية تقر وتثبت بعضهم بعضا، فبالتالي من اللافت للنظر الإتيان بكلمة "راعون" وما يقترنه من حروف الفاصلة في الآية والآيات السابقة؛ إذ بذلك تقرب التأثير والحركة في بنيتها، لما فيها من الجمع بين إيقاع الفاصلة والوصول بها إلى ما يقصده.

٣-٥. علاقة التلازم

«إن البلقاء جعلوا الفصاحة عبارة عن مزية أفادها المتكلم في المعنى؛ لأنه إذا كان اتفاقا أنها عبارة عن مزية أفادها المتكلم، ولم نره أفاد في اللفظ شيئا، لم يبق إلا أن تكون عبارة عن مزية أفادها في المعنى» (الجرجاني، ١٩٩١م، ص ٤٠٢). التلازم قاعدة لغوية أصلية تكون بين اللازم والملزوم، بحيث تساهم في إثراء المعنى وإشباعه، وذلك من خلال الترابط بين شيئين.

٣-٥-١. التلازم الصوتي

التلازم الصوتي أيضا يعد برهنة على تناسق عناصر النص وتفاعله ضمن النسيج اللغوي؛ ذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ...﴾ (الحجرات ٤١: ٢). وترددت أصوات "الصاد، والضاد والقاف..." في الآية، التي تدل على التيقظ والتنبيه، وتفسح المجال لاستكشاف صورة الفخامة التي تحتضن هذه الآية؛ لأن الموقف هنا موقف التنبيه، فلا بد من الأصوات المفخمة: كـ"الصاد، والضاد والقاف"، التي تضاعف إيقاع الترفع وعلو المنزلة، فإنها تضاعف من حدة الموقف وتزيد من تأثير الكلام، بحيث يدخل في نفوس المتلقي الشعور بمكانة الرسول (ﷺ) وشوكته؛ فإبراز هذه العلاقة الصوتية بهذه الطريقة يزيد في بناء الموقف الملائم مع التنبيه واليقظ في مخيلة المتلقي. كما يلاحظ

تكرار صوت "السين" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات ٤١: ١١). وبالنسبة إلى تكرار صوت السين في كلمات "يسخر، وعسى، ونساء، وبئس، والاسم، والفسوق" وما يرافقه السينات من حروف الصفيح: كـ "الزاء والراء" في "تلمزوا" و"تنابزوا"، فالسين صوت مهموس يتبعه الزاء الصفيحي ليتناسب كل ذلك مع حالات السخرية والاستهزاء. فالانسجام الصوتي يعتبر نوعاً من الدلالة الوظيفية ويدرس من خلاله، الصوت والحرف والموقع والمقطع، ويساهم بأدائها في بيان المعنى العام داخل السياق، حيث يدل كل عبارة منه دلالة طبيعية إلى حد ما، بمجرد سماع الأجراس الصوتية للألفاظ، فيحصل معناها في الذهن بطريقة طبيعية؛ ولكن هذه العلاقة في حدود ضيقة لقلة عدد هذا النوع من الانسجام (آلني، باستان وصالح بك، ١٣٩٦ هـ، ص ١٩٤).

٣-٥-٢. التلازم في الإسناد

اعلم أن معاني الكلام معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين: والأصل والأول هو "الخبر"؛ وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع، ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه؛ لأنه ينقسم إلى "إثبات" و"نفي"؛ و"الإثبات" يقتضي مثبتاً ومثبتاً له، و"النفي" يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه، فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه، حاولت ما لا يصح في عقل، ولا يقع في وهم. ومن أجل ذلك، امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر، وكان لفظك به، إذا أنت لم ترد ذلك، وصوتاً تصوته سواء (الجرجاني، ١٩٩١ م، ص ٥٢٧). فنرى علاقة الإسناد بين المبتداء والخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات ٤١: ١٠)، الإسناد يضم كلمة إلى أخرى، هنا يثبت الإسناد الاسمى مفهوم الأخوة للمؤمنين، ويقرره ويشبته؛ لذلك يفترق المبتداء إلى الخبر؛ لذلك أصبح مألوفاً وصف النص بأنه عنصر مركب، ذو بناء نسيج؛ لأن القيمة الإبلاغية لم تعد في الانفراد والتوحد، وإنما في الازدواجية وقدرتها الموفية للغرض. كما نرى في ختام الآية الإسناد الفعلي، الجملة الفعلية تبدأ بالفعل وتفتقر إلى الفاعل وما تحتاجه للإفادة والإتمام، حتى تصبح الجملة بنية حية، مركبة، منسجمة، منظمة، لغاية إقناعية كمالية.

٣-٥-٣. التلازم بين الموصول وصلته

هذه العلاقة تعمل على الربط بين سابق الجملة وللاحقها، من شأنها أن تجعل هذا التناسق المتتابع مقبولا حتى ترسل الرسالة إلى متلقيها، ويمكن باستطاعة المتلقي أن يفك شفرة الكلام وما فيه من الرموز من خلالها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان ٣١: ٨). إن اتحاد الموصول وصلته سبب في تجاوز أجزاء الآية، مما تبرز من خلالها أوجه التلاحم الدلالي بين عناصرها، بما له من ميزة خاصة تقرر وتثبت الانتظام والتماسك؛ فضلا عن ذلك، هذا التناسق سبب في زرع الحياة الفاعلة، الناشطة في بنية العبارة، فتحقق من ورائه إعادة الحياة، للكلمات المنفصلة. ومن أجل إبراز مدى الترابط في الآية، يمنح ختام الآية تجسيد البشارة والتبشير في قوله تعالى للذين عملوا الصالحات، وله دور بارز في تكملة المعنى وكماله؛ لأن اسم الموصول وصلته منفردان يحتاجان إلى الخبر الذي يكشف عن العلاقة بين عناصر الآية، مما يحقق من خلاله فهم المعنى المقصود والرغبة إلى كل خير وصلاح.

٣-٤. التلازم بين الشرط وجوابه

يساهم التلازم في إثراء المعنى المقصود، فتتمو من خلاله حياة الانسجام والتناسق، ومنه العلاقة بين الشرط وجوابه، التي تتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات ٤١: ٦). وكما يتضح مما تقدم، أن الشرط يفتقر إلى جوابه، فهو من أسرار تشكيل اللغة وصياغتها، وهذا ما يثبت القواعد المنطقية المنسجمة التي بنيت على المنطق والتدرج، وبالنسبة لهذه القضية، لا يتحقق جواب الشرط إلا إذا تحقق الشرط؛ هكذا تنبع الوظيفة الكلامية المقترنة بالشرط في أنها توجد مفارقة فادحة بين أسلوب الشرط وبين الأسلوب العادي للكلام؛ وأسلوب الشرط بالنسبة لتلك الآية، تهدف بضغوطه الإيقاعية، تنبيه المتلقي وتشكل نبرة التحذير المكثفة في نفسيته، مما يزيد الاهتمام بالمقصود في الآية.

٣-٦. التكرار

تقول نازك الملائكة حول التكرار: «إن التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه» (١٩٦٧م، ص ٢٤٠). ولها أنواع كثيرة، التي تأتي كالاتي:

٣-٦-١. التكرار الاستهلاكي

وهو تكرار كلمة واحدة أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، ووظيفة هذا التكرار التأكيد والتنبيه وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد، لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعري (المصدر نفسه، ص ١٠). وله دور هام في عكس الانفعالات النفسية المكونة، الذي يرسل الخطاب إلى مرحلة الإقناع والسكوت، ويتمثل ذلك في التناسق التالي من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾ (المؤمنون ٢٣: ١ - ٥)؛ كما يتبين، أنه يلاحظ تكرار كلمة "الذين"، والتي يرجع مرجعها إلى المؤمنين؛ تلح الآيات من خلاله على النظام والتناسق في هندسة السورة، وشدة إيقاعها؛ فهذا التعالق اللغوي يعمق الإحساس باتصاف الصفات التي يريد الله تعالى نقلها لنفسية المتلقي؛ فبهذا الأسلوب تبعث الحياة في المضمون المقصود وتحيي شدة انتباه المخاطب لها، لما فيها تجسيد لأعمق التفاعل الروحي؛ لذلك يجعل الكلام متميزا ذا طاقة إبداعية.

فسورة المؤمنون سورة مكية، يتردد صداها في الثناء على أهل الإيمان، وبيان ما فيهم من الخصال الحميدة، ثم ختمت بدعائهم، هكذا نستشعر من خلال هذه الآيات، بالربط بين الآيات السابقة مع نهايتها، ويظهر مشهد التكرار في هذه اللوحة الجميلة للفواصل القرآنية "ون"، وكأنها وحدة واحدة إيقاعية، يحدث نوعا من التناسق بين النغمة الإيقاعية للفواصل ومضامينها، وهذا ما يؤدي إلى إزالة مسافة التوتر والتشويش بين الآيات، فتتدفق إشعاعاتها التفاعلية إلى روح المتلقي، كأن هذه الخصال تتساق مع نوازع النفس، فلا بد لنفسيته من الانفعال والتأثير. وصورة التكرار التي تبرز أمامنا في سورة لقمان يلاحظ فيها تكرار قوله تعالى على لسان لقمان، حيث يقول: "يا بني..."، فكلمة "بني" تصغير، من حكمه التحنن والتودد والتحب؛ فنكراره ملاصقا بالنداء سبب لزيادة الحنان والتلطف والتودد، مما يزرع الأمر في قلب الابن. فهذه العبارة تدل على قربك إليه واتصالك الوثيق به، لعله كان بدوره يمزج بين السورة والتسلسل اللغوي أو التلقائي إلى نفسية المتلقي وأحاسيسه، وظل صدى التكرار من خلال هذا النداء يغطي الهوة والحاجز بين عناصر الآية، لما فيه من قوة الامتزاج والتلاحم.

وتكرار آية "يا أيها الذين آمنوا..." في سورة الحجرات مؤثرة في تحويل أحوال المؤمنين، وتكوين شخصيتهم الاجتماعية، مما يؤدي إلى الانتباه في مضامين الآيات والتفكير فيها؛ فمضمون ما في هذه النداءات هو التحفيز والتشجيع إلى الأخلاق والآداب التي تنظم العلاقة والصلة الحميمة بين المؤمنين، ومثل هذا يتمثل في هذا النوع من التكرار الذي يبعث في نفوس المؤمنين النزعة إلى تحسين الأخلاق وتعديلها وتغييرها؛ وهذا ما ينبعث عن التكرار كوسيلة الانسجام؛ إذ يتأتى منه تأثير مضاعف في المتلقي، هكذا يسري هذا التكرار الإحساس بقوة الصلة بين عناصر السورة وبين مقصودها، قد بلغ حد الاتحاد بين الأطراف والجوانب، الأمر الذي أكسب السورة الغنى العاطفي واللفتة غير الشائعة، وهذا ما منبعث عن البناء الفني للسورة. يقول ابن عاشور في تفسيره حول الانسجام لتكرار هذه الآية: ذكر الله في هذه السورة خمس مرات "يا أيها الذين آمنوا" وأرشد بعد كل مرة من قسم من الأقسام الخمسة (١٩٨٤م، ج ٢٦، ص ٢١٤).

٢-٦-٣. التكرار البياني

هو التكرار الذي يأتي لرسم الصورة، أو لتأكيد كلمة أو عبارة، والغرض العام منه إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة، لخلق ما يسمّى لحظة التكثيف الشعوري؛ أو لحظة التوافق الشعوري بين المبدع والمتلقي (شرح، ٢٠٠٥م، ص ١٦). كما نشاهد في الآية: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان ٣١: ١٨)، أن التأكيد من أبرز الوسائل في استجاشة العواطف وطغيانها، ويعرف بأنه فن الحجاج والإقناع، أو هو يشد المتلقي إلى الخطاب اللغوي، ويستميله. فهنا في هذه الآية، ينهض التأكيد بالمتلقي، ويشير ما في النفس من التهويل والترهيب؛ لذلك تأتي الصور المختلفة متتالية بمعنى واحد من أجل الزيادة في التأثير عند المتلقي، وقد تكون الصور مترابطة في مجموعها، بحيث تكون منها صورة كبرى تتجسد فيها القضايا الهامة المرتبطة بالموضوع، لتكون في النهاية أعظم لوحة فنية ملونة، التي تصور مدى المقصود أحسن تصويراً، هكذا نلاحظ هذا اللون من التكرار في السور المذكورة، التي مازالت تسعى وراء تقرير التهذيب والتربية.

٤. الترابط المعنوي

كلما زاد الترابط المعنوي بين أشرطة النص الأدبي، زادت القيم الجمالية للنص. والنص القرآني قد استطاع أن يصل إلى هذه الدرجة الرفيعة؛ لذلك، نشاهد المضامين المشتركة بين معاني القرآن، وهذا الأمر يمنح المعاني قوة؛ في الواقع، هذا فيه وضوح، بحيث يرتفع مع الآيات الغموض والإبهام؛ لذلك أن الصدر بحاجة إلى بيان سيدرته في العجز ويكمّله به (الكرباسي، ٢٠١٣م، ج ١، ص ٢٣). ومن مظاهر الترابط المعنوي، نأتي بالظواهر التالية: كالإدماج، والتناسب و...، ثم نطبقها على السور المذكورة.

١-٤. التناسب

الكفاية الاتصالية عند ليفاندوفسكي هي كفاية الاستخدام اللغوي. ولا تتضمن الكفاية الاتصالية المعرفة النحوية فحسب، بل تضم إليها أيضاً معرفة المناسبة الاجتماعية والموقفية للأحداث اللغوية (العبد، ٢٠١٤م، ص ٤٢). إن المناسبات بين الآيات القرآنية بعضها ببعض، ظاهرة الانسجام اللغوي، تزيد في التعميق الفكري، وتثري الخصوبة الفنية، لما فيها من العلاقات المعنوية في الربط بين المناسبة الآية للآية المجاورة لها.

٤-١. المناسبة بين مطالع السورة وخواتيمها

يتعانق المطلع والخاتمة في جمهور سور القرآن تعانقا حميما يأخذ بالألباب، وينبئ عن سرّ الإعجاز البياني، فتلقي السورة تتناول موضوعات متباينة، وتطوف بأفاق شتى، ولا تعدم في نهاية المطاف وشيجة قريى وأصرة رحم بين المطلع والخاتمة. يقول أبو الحيان: «تتبع أوائل السور المطولة، فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم أخذاً في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلاً، ثم يعود إلى ما كان أخذاً فيه أولاً» (الريسوني، ٢٠١٠م، ص ٩٣). من الأمثلة المناسبة ما نجده في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات ٤١: ١١). هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية؛ وذلك أنهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم، ولم يقومهم أمر من الله ولا نهى، فكان الرجل يسخر، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويظن الظنون، ويتكلم بها، ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة، فنزلت هذه الآية تأديبا لهذه الأمة (الثعالبي المكي، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٢٧١).

فهي تتساق مع الآيات السابقة التي ذكرت فيها حدود الأخلاق والمعاشرة. إن المتأمل يجد الربط المعنوي بين هذه الآية والآيات السابقة، ويرى الاقتراب في هذه الدلالات المعبرة عن التمسك المؤمنين بالأخلاق الحسنة في التعامل والمعاشرة، لما جرى ذكر المؤمنين وجرى كيفية تعاملهم بعضهم لبعض، نقل الكلام إلى تهديدهم وتوعيدهم لاحتراز عن السخرية والازدراء؛ فهذا الانتقال لم يكن اعتباطيا، بل هناك جانب من التلاحم بين الآيات؛ ولكن بالنسبة لهذه الآية المذكورة، فالآية تتحدث عن سوء العاقبة للمعصية، فتجد في تعقيبها الترابط بين المعصية والظلم؛ فهكذا الكلام يناديه بعضه بعضا. لكن بصورة كلية، فقد اشتركت هذه الآيات الموجودة في سورة الحجرات في أنها يجمعها غرض التأدب والآداب، فبدايتها متعلقة بالأدب مع رسول الله (ﷺ) وتتوسط بأداب التعامل مع المؤمنين، وهذا الاتحاد في جنس التعامل هو مسوغ للانتقال من الآية إلى الأخرى.

يمكننا أن نشير إلى وجه آخر من أوجه المناسبة بين عنصر السورة يتمثل في الانتقال من الجزئية في التعامل، وهو النبي (ﷺ) وإيصاله إلى الكلية، وهو تعامل مع المؤمنين، ثم يتصف حالة الأعراب وما لهم من التعامل والمعاشرة مع رسالة الإسلام، فكل هذه من نسقية مترابطة تقودنا إلى إدراك أوجه التناسب والعلائق بين عناصر السورة. من أمثلة العناية بالاهتمام في المناسبة ما نجده في سورة لقمان كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ... خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ ... إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ... ﴿٣٢﴾ (لقمان ٣١: ٢ - ٣٤). هذه الآيات كلها تشكل صورة رائعة لقدرة الله وحده وعلمه المطلق، مما يتمثل في عناصر الطبيعة التي يراها الناس أمام أعينهم، كما بدأت لسورة بتوحيد الله تعالى، فإنها ختمت بالتركيز على علمه المطلق وقدرته اللانهاية. فمحور السورة كما يتضح من خلال العديد من الآيات، الحكمة في تربية الأبناء وتخطيطهم للتعامل الحسن في الحياة؛ فمثلا، الآية "اقصد في مشيك..." قد تكون خاتما أو إتماما لسلسلة وصايا لقمان لابنه التي جاءت في السورة، وهي عصارة حكمته وتجاربته في الحياة، يكون المعنى أن يمشى المؤمن على الأرض بسكينة ووقار دون استكبار وخيلاء، وهذا ما يرتبط ببداية السورة ونهايتها؛ لأن ما يستحق العجب والخيلاء هو الله الواحد القهار؛ لأن كل صفاته من العلم والقدرة قد بلغت غايتها. فكل ما تعنى بالمفاهيم العلاقية ينقل من الجزئية في القرآن الكريم إلى قراءة كلية مترابطة التي تقود إلى إدراك أوجه التناسب والروابط بين آيات السورة، بحيث تكون

السورة ككلمة واحدة؛ لذلك مازالت المناسبة تبحث عن وحدة النص ومضمونها جامعا، ويمكن هذا الأصل من مجاوزة التفسير الجزئي إلى التفسير الشامل الذي لا يتم إلا باقتران الآيات المتعددة.

٤-٢. التناسب بين اسم السورة ومقاصدها

وقد التفت إليها الكرمانى في كتابه *عجائب القرآن* قائلا: «فربط بين العنوان ومقصدية الخطاب ربطا واضحا؛ إذ هو جزء حميم من بنية النص، وعتبة دلالية لفهم مقاصده» (الريسونى، ٢٠١٠م، ص ٩٤). ومثالنا في ذلك سورة لقمان، وسبب تسميتها يعود إلى ذكر هذا العبد الصالح آتاه الله الحكمة والرشد، فكانت وصايا لقمان لابنه التي جاءت في سورة هي عصارة السورة المتكونة من مفاهيم التعامل، وفيها أيضا تركيز على قدرة الله وعلمه المطلق.

٤-٣. التناسب بين البيان والتفسير

يقول السكاكي في كتابه *مفتاح العلوم* حول الإيضاح والتبيين: «أما الحالة المقتضية للإيضاح والتبيين، فهي أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء، والمقام مقام إزالة له» (١٩٨٧م، ص ٢٥٣). هذه العلاقة الدلالية يكثر تواردها في القرآن الكريم، فهي من الموضوع الذي يجب الفصل بين الجملتين، قال الله تعالى: ﴿... وَأَقْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات ٤١: ٩).

هناك علاقة معنوية بين عناصر هذه الآية، التي تتنوع أساليب الخطاب من خلالها، وهذا التنوع يضيف ترابطا وثيقا عميقا على ظلال الآية، وبالتالي يعتبر اللاحق من الآية جواب للسؤال المقدر المنبعث عن السابق، فهو يثير ما في النفس من السؤال، فيقول: لماذا يأمر الله تعالى بالقسط؟ فيجيب بما جاء في خاتم الآية؛ لذلك علاقة السؤال والجواب بين بنية النص سواء كانت صريحة أو غير صريحة تراعي الربط المناسب بين عناصر النص والجملة، وهي سبب لإيصال الفكرة بطريقة صحيحة للمخاطب.

قال السيوطي حول علاقة السؤال والجواب: «الأصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، إذا كان السؤال متوجها، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال، تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السكاكي: الأسلوب الحكيم. وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليها في السؤال، وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك» (٢٠٠٨م، ص ٤١٦). كما تختار هذه الآية من سورة لقمان ما يناسب للربط بين عناصر الآية، وهذا هو أيضا من علاقة السؤال والجواب؛ ولكن تكون هذه العلاقة هنا ضمنية أو خفية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان ٣١: ١٨)، فالجملة الأخيرة تكون جوابا للسؤال المقدر المنبعث عن السابق؛ إذ جاء اللاحق تقريرا أو تثبيتا للكلام السابق، ويكشف ما به من العناية والاهتمام، فالعلاقة القائمة على هذه الصورة تتكشف أسرار الانسجام، وجمال التعبير.

٤-٢. علاقة الإجمال والتفصيل (علاقة التعميم والتخصيص)

«أما علاقة التعميم - التخصيص أو الإجمال - التفصيل، فهي تعنى إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه» (عبد المجيد، ١٩٩٨م، ص ١٤٦). وهذه العلاقة من أهم العلاقات الدلالية التي تكون موضع العناية في البنيات النصية مما يزيد من تقرير المعنى والإقناع الروحي، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ٣١: ١٤). والآية تؤكد على حق الأم؛ لأن ما يخشى منه التهاون يجب دعمه؛ لذلك يدعم جانب الضعيف بشيء من التفصيل والتبسيط، إذن الأم أحق بالتكريم والاحترام. جاءت هذه الآية وما بعدها من الآيات التي تبين مختلف حقوق الوالدين بمنزلة التفصيل والشارح لبداية الآية، فتتابع التفسير هو البحث عن زاوية أخرى للآية، تلتحم عضويا وبنية العبارة الأولى وتفسرها، لما فيه من إضافات فكرية أو لفظية.

٣-٤. علاقة التقابل

وأما العلاقات التقابلية، فهي تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين (عبد المجيد، ١٩٩٨م، ص ١٤٧). وتلك العلاقة تتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا ...﴾ (لقمان ٣١: ١٧)، والعلاقة الجامعة بين عناصر الآية هي التضاد أو التقارن، التي تتدفق منها درجة عالية من الاتزان النصي ونضوجه المشيع؛ تلك محاولة لغوية يجد فيها المتلقي ترجمان نفسيته فيما تريد تحقيقه، وما يجول في عاطفته المشبوبة، بما أن الأمر بالمعروف يستلزم النهي عن المنكر، وكليهما يحتاج إلى الصبر والاستقامة.

فبهذه الطريقة، ترسخ الصورة في ذهن المتلقي وتظهر أكثر التصاقاً بالنفس وأكثر بروزاً، وبالتالي تكون هذه العلاقة رافعة للإيهام الذي يلحق السابق، هكذا أراد أن يثبت ما في الآية من العبادة وما يتوقف عليها من الصعوبة والمشقة بصورة متناسقة؛ فلا بد في هذه الحالة من الاستمداد بعلاقة التقابل أو التضاد. يقول الشعراوي حول التقابل في تفسيره: «هذه سمة من سمات الأسلوب القرآني؛ لأن ذكر الشيء مع مقابله يوضح المعنى ويعطيه حسناً» (١٩٩١م، ج ١٩، ص ١١٥٩). فبكرة التقابل بين عناصر الآية أحدثت انسجاماً وتأثيراً جارحاً قد يتبعه التوازن والمزاجية.

٤-٤. العلاقات المنطقية

١-٤-٤. علاقة السبب والأثر

تهتم هذه العلاقة بانتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان (الرجاني، ٢٠٠٤م، ص ٥٥). وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان ٣١: ١٨)، فالانسجام بين السبب والأثر هو هذه العلاقة التي تنسول بها للوصول إلى التقرير والإثبات، ترفض الآية معنى الاستكبار والكبر والته، الذي لا يليق أحداً إلا الله؛ ولكن لا بد من التمسك بخاتم الآية لتقرير المعنى، وبالتالي هو تعليل مقنع لتحريم التبخر والإستكبار بما أنه تعالى لا يحب اتصاف العباد بهذه الصفة، هكذا يترقق الانسجام شفافاً، حافلاً بالإشعاعات النبضة من خلال هذه العلاقة.

٢-٤-٤. علاقة السبب والنتيجة

لننظر إلى هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان ٣١: ٨). كانت هذه العلاقة في الوقت نفسه من أهم الطرق الترابط النصي، تطمح إلى محاولة تحقيق وحدة النسيج لبنية الآية، وربط محاورها لفظياً وفكرياً، بحيث تبدو بداية الآية منسجمة التركيب مع نهايتها، وكان الإيمان والعمل الصالح يستلزمان تبشير الجنة والدعوة إليها؛ لذلك حين تكون الآية تتحدث عن الإيمان والعمل، فتجد في التعقيب البشارة والسعادة.

٣-٤-٤. علاقة التعليل

تعتبر علاقة التعليل من العلاقات التي تتجاوزها ثلاثة مجالات على الأقل في الثقافة العربية الإسلامية، وهي: المجال الفلسفي، والنحوي، والبلاغي. وقد تسربت معاني هذه المجالات بأشكال وأحجام مختلفة أيضاً إلى التفسير، وتعنى هذه العلاقة في عرف المناطق «انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان، أو بتعبير آخر إظهار عليّة الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة، والصواب أن التعليل: هو تقرير المؤثر لإثبات الأثر» (برماد، ٢٠١٥م، ص ١٩٥).

ويمكن أن نأتي بمثال من قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات ٤١: ٤١).

(١١)، فمضمون هذه الألفاظ، أي عدم الظن وعدم الغيبة، لا يتحقق من بداية الآية؛ لذلك عقب الله بقوله "إن بعض الظن إثم" يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً". فكل هذه المقاطع تعليل لعبارة تسبقها، فهذه ما يثري النص، ويشحنه بطاقات مليئة بالعلية والتعليل تدفع المتلقي إلى مواصلة النص وتجعل الإقناع والإمتاع في النفوس، بحيث تندمج هذه العناصر اللغوية مع ملامح الإثبات والتقرير، وتندغم فيها لتحدث بها آية متكاملة، منسجمة وما شابهت تلك من توسع الدلالة وتكثيفها.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ٣١: ١٤)، فـ"ووصينا الإنسان بوالديه" إلى آخر الآية، اعتراض واقع بين الكلام المنقول عن لقمان وليس من كلام لقمان، وإنما اطرد ههنا للدلالة على وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله تعالى، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيته وأمره تعالى، فشكرهما عبادة له تعالى، وعبادته شكر (الطباطبائي، ١٣٦٠هـ، ج ١٦، ص ٢١٦). والآية تتحدث عن حقوق الوالدين وعدم عقوبتهما؛ لذلك تجد في التعقيب التحذير والتنبية على صورة "إليّ المصير"؛ لذلك يشحن خاتم الآية المضمون المقصود بالعلية والتعليل، فيلزم المتلقي تكريم الوالدين؛ لأن عدم التكريم يتبعه سوء العاقبة وما يلحق بها من الخسران والضرر، وهكذا يكشف اللاحق بعدا نفسيا ممزوجا بالتوعيد والتهديد ويعمق النظر في أحوال الوالدين.

الخاتمة

قد جاء هذا البحث ليثبت أشكال الانسجام والتلاحم بين آيات القرآن وسوره ومقاطععه. تظهر قوة الانسجام أهمية القرآن ومنزلته النبوية، فهذا الانسجام في القرآن الكريم بصورة كلية تكون على المنهج التالي: عندما يتحدث عن الأشياء التي جاءت من الغيب، يعقبه بقوله: "أفلا يسمعون"؛ وعندما يتحدث عن دلائل الإيمان في الكون والنفس، نرى في تعقيبه "أفلا تعقلون"، فهذه الدقة القرآنية تحتاج إلى الاستشعار والاستمالة، كما نلاحظ في نهاية الخطاب لأهل الإيمان مقطع "أفلا تتقون"، حينما يخاطب الكفار، فتجد في التعقيب "أفلا تؤمنون". ولكن بالنسبة لهذه السور المذكورة، انبثقت أشكال الترابط السطحي فيها من علاقة بين البنية والنسق، وأكسبت فاعلية كل من الأنساق اللغوية في إنشاء المقارنة بين عناصر الآيات ومقاطعها بهدف تحقيق التوازن بين حالات لغوية مختلفة. وهذا ما يتمثل في الإعراب والتكرار والإحالة والحذف.... ويكون محور الانسجام أو الترابط المعنوي في السور المذكورة على الترتيب الآتي: تبحث آلية الانسجام في سورة الحجرات عن آداب التعامل والمعاشرة، وتكون هذه المعاشرة مع النبي (ﷺ) والمؤمنين، وتمتد إلى المجتمع البشري كله؛ لذلك الآيات الموجودة فيها تكون إتماما لسلسلة الذوقيات والأخلاق التي تشكل الانسجام المعنوي في السورة، كما يساعدنا محور الانسجام في سورة المؤمنون في عملية الفهم والمقصود من نزول السورة؛ فالفكرة المحورية فيها هي بشارة المؤمنين وجزاؤهم بما تنفي الضلالة والكفران؛ لأنها تبين دلائل الإيمان في الكون والنفس؛ لذلك بدئت ببناء أهل الإيمان لما فيهم من آداب المعاشرة الحسنة وختمت بدعائهم، وحلقة الاتصال بين سورة المؤمنون وسورة النور التي جاءت بعدها تحقق ذلك الهدف الرئيس، الذي تدور حوله المعاشرة وآداب التعامل؛ وأما سورة لقمان يتدرج محور الانسجام فيها تدرجا منطقيا متسلسلا، والمحور الرئيس في تلك السورة هو الاعتقاد بقدرة الله وكماله المطلق، كما تخطط لمناهج الحياة والدنيا، وتلك تكون على لسان لقمان، الذي يبت معاني التربية والعشرة، حينما يقول: "لا تمش في الأرض مرحاً"، أراد أن يجسد قدرة الله المطلقة؛ إذ تشكل هذه الآية مثالا رائعا؛ لأن ما يستحق الغرور هو الله القاهر؛ هكذا نلاحظ التعالق الدلالي بين مقاطع الآيات، فتكون حلقة الاتصال بين هذه السورة والسور الأخرى هي التربية والتهذيب؛

لذلك استعانت الدراسة بالوسائل اللغوية وغير اللغوية لإثبات التلاحم والترابط بين السور المذكورة، فاهتمت بعلاقة المناسبة وأفاضت في بنيته، ووقفت على أسرار العلاقات الجامعة بين الآيات.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- ابن عاشور، محمد طاهر. (١٩٨٤م). **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن هشام، عبد الله. (٢٠٠٩م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر. القاهرة: مكتبة الآداب.
- ساقى آلنى، حسن؛ و خليل باستان؛ ومجيد صالح بك. (١٣٩٦ هـ.ش). «دراسة المعاني الضمنية لانسجام الصوائت في سورة آل عمران». **ادب عربي**. ع ١. ص ١٩١ - ٢٠٩.
- برماد، أحمد. (٢٠١٥م). «آليات انسجام النص القرآني عند المفسرين: تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لسورة المجادلة أنموذجا». **النص**. ع ١٨. ص ١٧٦ - ٢٠٠.
- الثعالبي المكي، عبد الرحمن. (١٩٩٧م). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩١م). **دلائل الإعجاز**. تحقيق محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.
- حسان، تمام. (١٩٩٨م). **النص والخطاب والإجراء**. القاهرة: عالم الكتاب.
- ختيم، عزوز. (٢٠١٨م). **الانسجام في النص القرآني: دراسة في الأدوات والمستويات**. أطروحة الدكتوراه. جامعة باتنة. كلية اللغة والأدب العربي.
- خطابي، محمد. (١٩٩١م). **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- دايك، فان. (٢٠٠١م). **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات**. ترجمة سعيد حسن بحيري. القاهرة: دار القاهرة للكتاب.
- الريبيعي، محمد شاهر الناصر؛ وأحمد جاسم مسلم الجنابي. (٢٠١٤م). «الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم». **مجلة كلية التربية الإسلامية**. ع ١٧. ص ٤٥١ - ٤٨١.
- الريسوني، قطب. (٢٠١٠م). **النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر**. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الزكراوي، جميلة. (٢٠١٧م). **الاتساق والانسجام في سورة "يس"**. رسالة الماجستير. جامعة محمد بوضياف. كلية الآداب واللغات.
- السكاكي، أبو يعقوب. (١٩٨٧م). **مفتاح العلوم**. ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، جلال الدين. (٢٠٠٨م). **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق مصطفى شيخ مصطفى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- _____. (د.ت). **أسرار ترتيب القرآن**. تحقيق عبد القادر أحمد عطاء ومرزوق علي إبراهيم. القاهرة: دار الفضيلة.
- شريح، عصام. (٢٠٠٥م). **ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل**. دمشق: اتحاد الكتاب العربي.
- الشعراوي، محمد متولي. (١٩٩١م). **تفسير الشعراوي**. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.
- الطباطبائي، محمد حسين. (١٣٦٠ هـ.ش). **الميزان في تفسير القرآن**. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- عبد المجيد، جميل. (١٩٩٨م). **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العبد، محمد. (٢٠١٤م). **النص والخطاب والاتصال**. القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- غزالة، خليل حمد. (١٩٩٢م). **مدخل إلى علم لغة النص**. نابلس: دار الكاتب.
- قطب، سيد. (٢٠٠٣م). **في ظلال القرآن**. ط ٣٢. بيروت: دار الشروق.
- الكرباسي، محمد صادق. (٢٠١٣م). **ديوان التخميس**. لندن: المركز الحسيني للدراسات.
- كريستيفا، جوليا. (١٩٩٧م). **علم النص**. ترجمة فريد الزاهي. ط ٢. المغرب: دار توبقال للنشر والدار البيضاء.
- الملائكة، نازك. (١٩٦٧م). **قضايا الشعر المعاصر**. ط ٣. بيروت: مكتبة النهضة.